مذكرات معلمة

أ/ حسونة عبد الله المحضار

أحلام طفلة

قصة

دار السيمة للنشر

أحلام طفلة

اسم الكتاب: أحلام طفلة

اسم الكاتب: أ. حسونة عبد الله محضار

نوع العمل: قصة

لوحة الغلاف: فاطمة المحضار.tomma @

رقم الإيداع: (2023/ 467)

الرقم الدولي EBIN: 16-1-412-251125

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2023م

الطبعة الثانية: 2025م

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

@ bassmabook

bassmabook@gmail.com

المملكة المغربية

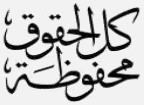

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. ولا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب، أو نقله علَى أي نحو كَانَ، أو بأي طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

أحلام طفلة

مذكرات معلمة

أ/ حسونة عبد الله المحضار

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لكل أهلي، إخوتي، ولدي، لكل معلمة في أعظم وأرقى مهنة في تعليم الكبار، لكل مشرفة في مجال محو الأمية، ولكل دارسات محو الأمية، ولأساتذة الدورات التأهيلية لمعلمات محو الأمية ولكل المجتمع..
للأمهات اللاتي قال فيهن شاعر النيل حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها.. أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم أستاذة الأساتذة الأُلى.. شغلت مآثرهم مدى الآفاق

لكل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

تقديم

كثيرا ما نتمنى ونحلم بتحقيق أشياء حرمنا منها في الماضي وعندما يشاء الله سبحانه وتعالى ييسر لنا الأسباب وعلينا نحن أن نختار كيفية تحقيق أحلامنا إلى واقع، عندما بدأت في كتابة قصة (أحلام)، وهي خلاصة تجربتي العملية في مجال محو الأمية لم يخطر في بالي أنني سأقرر نشرها، كانت بالنسبة لي مجرد يوميات معلمة أكتبها للذكرى، وقد كتبتها على شكل مذكرات، كان ذلك في العام الماضي، وعندها قررت نشرها واستمررت في التدريس حتى إصدارها، وبفضل الله سبحانه وتعالى، وتوفيقه، أنهيت كتابتها، ثم بفضل إخوتي وابني وتقديرهم، واعتزازهم بعملي، ولولا ذلك، وأيضًا لولا فكرة نشر القصة، ماكنت استطعت الاستمرار إلى هذا الوقت في عملي، وتجاوز ما حدث لي خلاله، فلهم كل الشكر والتقدير...

كما لا أنسى دور كل من ساندني ولو بكلمة تشجيع، كل تقديري للأستاذة/ نجاة الحرازي، أستاذة الدورة التأهيلية لمعلمات محو الأمية، والأستاذة القديرة مشرفة دار الأحمر الخيرية (سابقًا)، والأستاذة

مشرفة مركز آل عرهب. كما أهدي هذا العمل المتواضع لكل من ذكرت ولدارسات محو الأمية، ومعلمات محو الأمية، ولكل من يقدر جهودهن، ومظلوميتهن، وينصفهن من مسؤولينا في جهاز محو الأمية.

تقديم (1)

إلى الأستاذة القديرة حسونة المحضار، أبارك لك من كل قلبي هذه الرواية التي هي بداية المشروع الأدبي بإذن الله، وكيف لا ومنك تعلمنا الإصرار على تحقيق الهدف مهما كان الطريق شائكًا، وتعلمنا منك الإخلاص في تأدية المسؤولية، وأيضًا أهمية التعليم لمن هم بحاجة إليه، وتعلمنا منك مثالًا في العطاء بدون انتظار المقابل، لذلك تعجز الكلمات والحروف عن وصف هذا العمل.

وهنيئًا لك إصدار هذه الرواية والتي لأول مرة يطرح موضوعها، وإن شاء الله نقرأ لك الكثير من الروايات الهادفة.

في هذه الرواية كان لي الشرف في اختياري كمدقق لغوي، وقد لامست من خلال متابعتي تمكن الكاتبة من اللغة، سواء من الناحية اللغوية أو الناحية الإملائية، فكانت الأخطاء الإملائية تكاد لا تذكر، وإن حصلت فإنها نتيجة السرعة في الكتابة

لإظهار هذه الرواية على الملأ في زمن قياسي، وأتمنى المزيد من نبعك الأدبي الذي لا ينضب.

لك خالص تحياتي واحترامي.

مدرسة اللغة العربية فاطمة الآغا

تقديم (2)

الأستاذة الفاضلة/ حسونة المحضار.

صاحبة رواية (أحلام طفلة) والتي أدهشتني من عنوانها وفكرتها، وناقشت موضوعا لم يطرح قبل ذلك، وهو موضوع الدراسة في محو الأمية، وكيف تجاوزت أحلام كل المواقف والتحديات حتى وصلت إلى غايتها، فالمحتوى كبير، ولكن الكاتبة لخصته بكل عراقيله، وأوجزت فيه كل ما يمكن أن يحبط أي شخص للوصول إلى هدفه ولكن العزيمة، والإصرار فتحت لها الأبواب الموصدة، ونجحت وحققت حلمها، حيث إن القصة تحكي واقعا مريرا لكثير مما نعانيه في هذا المجال، وعملها خلال هذه السنوات أنتج لنا هذه القصة الجميلة، والتي كتبتها على شكل مذكرات، وإن شاء الله ما هي إلا بداية الغيث، وما دام القلب ينبض فالإبداع سيستمر، وأنا لا أستطيع أن أوفيها حقها من الشكر والامتنان، فالكلمات تعجز عن ذلك، وقد أثبتت قدراتها في أكثر من مجال، وما أنجزته في مركزنا أكبر تحدّ، والكل يشهد لها بذلك، وأتمنى التوفيق والاستمرار.

مشرفة مركز عرهب أ / جميلة عرهب

الفصل الأول: (سرقة الحلم)

مساء الخير مذكرتي..

ها أنا أعود إليك من جديد، لأكتب على أوراقك الناصعة حكايتها.
ما زلت أتذكر تلك الطفلة وهي تسأل والدها يوميًّا نفس السؤال:
أبي متى تشتري لي حقيبتي المدرسية والأقلام، والألوان والزي المدرسي و... و... و...؟

فيجيبها والدها الحنون: قريبا إن شاء الله.

لهذه الطفلة شقيقتان سبقتاها للدراسة، وكانت تراقبهما وهما تستعدان للذهاب إلى المدرسة، وتستقبلهما دائما عندما تعودان منها، وتنتظر بشوق ولهفة اليوم الذي ستذهب فيه معهما، فهي ليست مثل بقية الأطفال الذين يبكون، ويتشبثون بوالديهم في الأيام الأولى للدراسة.

وأخيرا بدأ العام الدراسي الجديد، وارتدت الطفلة الزي المدرسي، وأخذت حقيبتها بما تحتوي عليه من مستلزمات الدراسة، وهي مليئة بالحيوية والنشاط وفي قمة السعادة.

ومرت الأيام، وكانت الصغيرة تعود من المدرسة، وتمثل دور معلماتها، وتطبق كل ما تعلمته على إخوتها الصغار وعلى أبناء الجيران، فهي تتخيل نفسها معلمة وسعيدة بهذا الدور.

مرت السنة الدراسية الأولى والثانية، وأجادت الطفلة خلالهما القراءة والكتابة، وكانت معلمتها دائما تحثها على القراءة من السبورة أو من كتاب القراءة، وحازت على المرتبة الأولى في العامين الدراسيين.

وفي السنة الثالثة، استقبلت عمتها –شقيقة والدها– التي جاءت من قريتهم لتستقر مع زوجها في المدينة. كانت العمة غير متعلمة، كمعظم نساء القرى اللاتي يرفض أهلهن تعليم بناتهن غير سور قصيرة من القرآن الكريم وتعليمهن كيفية الصلاة. وقد سكنت العمة بجوارهم في الحي نفسه.

في أحد الأيام طلبت العمة من ابنة أخيها أن تعلمها القراءة والكتابة، فوافقت (أحلام) بفرح.

ما رأيك مذكرتي في أن نسميها «أحلام»؟!

وهكذا، كانت حينما تعود من المدرسة، ترتاح بعض الوقت، ثم تذهب إلى عمتها لتلقنها ما تعلمته في يومها الدراسي، وهي سعيدة وفخورة؛ كونها المعلمة وعمتها التلميذة.

انتهى العام الدراسي، وواصلت (أحلام) تعليم عمتها خلال الإجازة حتى أجادت القراءة والكتابة.

أنهت أحلام السنة الدراسية الرابعة بنجاح، وخلال الإجازة وقبل بداية السنة الدراسية –التي يفترض أن تكون في الصف الخامس– عصفت الأحداث بمدينتها، ومنعت وشقيقتاها من مواصلة التعليم خوفًا من الأوضاع المتأزمة في المدينة.

شعرت أحلام بالحزن، ولم تستوعب سبب ما يحدث، كانت تحب مدرستها ومعلمتها، ودائما ما تتخيل نفسها معلمة. وعند بدء العام الدراسي الجديد، كانت تداوم النظر من شرفة منزلها عندما تسمع أصوات أترابها من الطالبات، وهن يلعبن ويمرحن في ساحة المدرسة بأصوات طفولية. تنظر إليهن خلال الطابور، وتردد النشيد الوطني معهن، فقد كان منزل عائلتها أمام المدرسة مباشرة، ويفصل بينهما شارع صغير.

استمرت أحلام تتابع بنظرها زميلاتها في المدرسة بألم شديد، وبسبب تفاقم الأحداث انتقلت عائلتها إلى مدينة أخرى في البلد نفسه، حيث كان والدها يعمل هناك. وبعد عامين من إقامتهم في المدينة، توفي والدها، وبعدها طلبت أن تعود إلى المدرسة لمواصلة تعليمها، ولكن لا فائدة...

وخلال هذه الفترة شغلت نفسها بالقراءة المتنوعة من كتب ومجلات، وأحبت الكتابة، وكانت تكتب كل ما في داخلها من ألم. بالرغم من صغر سنها عرفت معنى الحزن، والألم، والفقد، وكان حرمانها من التعليم أكثر ما آلمها.

أحلام طفلة
Ola omar

الفصل الثاني: (بصيص أمل)

مرت السنوات وكبرت أحلام، وكبر إخوتها الصغار، وعاودها الحنين لمواصلة تعليمها، وتحدثت في ذلك معهم، ويبدو أن الجيل الثاني من العائلة كان أكثر وعيا وإدراكًا بأهمية التعليم من جيل الكبار، بالرغم من معرفتهم أن ديننا يحث على العلم، والقرآن الكريم يأمر بذلك، لكن للأسف بعض الأهالي تحكمهم العادات والتقاليد، وهذا تعبير عن قمة الجهل والتعنت.

وافق إخوتها، بل وشجعوها على أن تختار ما يناسبها من فرص التعليم، فاختارت أن تبدأ بأخذ دورات في اللغة الإنجليزية، وسجلت في أحد المعاهد، وقد كانت ملمة بعض الشيء من خلال كتب إخوتها خلال سنوات دراستهم. وهناك في المعهد أخذت عدة دورات، وفي تلك الفترة قامت الحرب صيف عام 1994، فعادت للمكوث في البيت، وبعدها بعدة أشهر عادت وأخذت دورة في العلوم الشرعية في إحدى الأربطة التابعة للحضارم، ثم دورة في الخياطة لم تتمها، ودخلت جمعية لتحفيظ القرآن الكريم لفترة بسيطة، وكانت تتنقل من مركز إلى معهد إلى جمعية، ولكن لم يكن هذا كل ما تريده أحلام؛ فهناك شيء أكبر تبحث عنه، هي تريد استعادة حق سرق منها في طفولتها. وعادت للجلوس في البيت، تمر أيامها كئيبة مملة، تقضيها بين القراءة والكتابة.

مرت فترة وهي على هذه الحال، وفجأة أُضيء لها بصيص من الأمل.

سمعت أحلام من بعض أقاربها عن جمعية فيها فصول لتعليم الكبار، فذهبت إلى هناك، وكان المبنى ضخما، وعندما دخلته رأت لوحات معلقة لأقسام كثيرة، كتعليم الخياطة والأشغال اليدوية والقرآن الكريم، وأيضًا لتعليم الحاسوب، ورأت لوحة مكتوبا عليها: «فصول تعليم الكبار».

كان الجميع مشغولًا هناك، والمكان كخلية نحل يعج بالحركة. وهناك رأت غرفة مكتوبا على بابها (الإدارة)، وكان الباب مفتوحا، فدخلته وألقت السلام، ثم سألت عن فصول تعليم الكبار، فطلبت المشرفة من إحدى الموظفات أن تصحبها إلى المكان. وهناك رأت أحلام ثلاث غرف مكتوبا على بابها «فصول محو الأمية»، فأدخلتها الموظفة إحداها، وكأن المشاعر تعصف بداخلها؛ لقد وصلت أخيرا إلى مبتغاها. رحبت بها المعلمة، ثم سألتها إن كانت قد درست من قبل، وإلى أي مستوى؟ فأجابت: نعم، إلى الصف الرابع. وسألتها مرة أخرى عن سبب توقفها عن مواصلة تعليمها، فأخبرتها أحلام باقتضاب عن السبب. ثم سألتها عن شهادتها، فقالت: لا أدري أين هي، ربما تكون في المدرسة، فقد غادرنا البلد بظروف طارئة.

قالت المعلمة: لا بأس، وأدخلتها فصل ثاني أساسي، قائلة لها: «ستبدئين من حيث توقفت لكي نستخرج لك شهادة». شعرت أحلام بالضيق، فقد كانت تتمنى دخول مستوى دراسي أعلى، لأن ثاني أساسي يساوي ثالث ورابع في مجال محو الأمية.

بدأت أحلام الدراسة لبضعة أيام، وبعد ذلك أخبرتها المعلمة أن المشرفة تريدها لأمر ضروري، فتوجهت إلى الإدارة وهي قلقة، بعد أن سألت معلمتها عن سبب استدعائها، خاصة أنها قد أعطتهم كل البيانات التي طلبوها. أجابتها المعلمة: «سنذهب وستعرفين هناك السبب».

ذهبت أحلام لمقابلة المشرفة، وفي رأسها تدور عشرات الأسئلة. دخلت غرفة الإدارة، فرحبت بها المشرفة وطلبت منها الجلوس. جلست وهي تنظر إليها متسائلة، فابتسمت المشرفة وسألتها عن مستواها الدراسي قبل مجيئها إلى الجمعية، فردت أحلام مستغربة: «لقد أخبرت المعلمة أنني درست للصف الرابع، ولكن لماذا تسألينني؟»

ردت عليها المشرفة: «خيرا إن شاء الله، أخبرتني المعلمة أن مستواك أعلى بكثير من ثاني أساس، ولقد قررت الإدارة تحويلك إلى المتابعة، وسنستخرج لك شهادة الثاني أساس». تابعت المشرفة قائلة: «لو

كان الأمر بيدي، فمن المفترض نقلك إلى الصف السابع، ولكن للأسف نظام التعليم في بلادنا لا يقر ذلك».

عادت أحلام إلى فصلها وهي في قمة السعادة بعد أن شكرت المشرفة ومعلمتها على اهتمامهما، ثم انتقلت للمتابعة وانتظمت حتى نهاية العام الدراسي، وأنهت المتابعة بأعلى تقدير. وفي حفل رائع لتكريم أوائل الدارسات، ودعت أحلام زميلاتها ومعلمتها بعد أن نصحتها وشجعتها على الاهتمام بمواصلة تعليمها.

انتهت الإجازة وبدأ عام دراسي جديد، وذهبت أحلام للتسجيل في مدرسة تابعة للجمعية. نعم، ذهبت وهي ترسم في ذهنها خطة لسنوات دراسية قادمة.

و... تتخيل أنها قد أصبحت معلمة، كانت تقهر خوفها وتحدث نفسها قائلة: لا، لم يفت الأوان بعد. وتحفز نفسها بالقول: تقدمي، استمري، وإن كان مشوارك الدراسي طويلًا، إلا أن إرادتك القوية ورغبتك في الوصول إلى الهدف سوف تختصره بمشيئة الله.

ولكن، يا للأسف، تفاجأت أحلام بما لم يكن في الحسبان...

الفصل الثالث: (فرحة لم تكتمل)

ذهبت أحلام إلى المدرسة، وكانت قد اتفقت مع زميلاتها في محو الأمية على مواصلة التعليم، وكنَّ مجموعة لا بأس بها، وثلاثٌ منهن ساكنات معها في الحي نفسه. وعندما وصلت إلى المدرسة، توجهت مباشرة إلى الإدارة لتسجيل اسمها. دخلت وألقت السلام، ثم سألت مديرة المدرسة عن حضور دارسات من جمعية تعليم الكبار للتسجيل، فردت المديرة: «لم يأتِ أحدٌ منهن».

بعدها ذهبت للبحث عن فصول الصف السابع، وكانت الدراسة قد بدأت منذ أسبوع. دخلت أحد الفصول وألقت السلام، ثم قدمت نفسها للمعلمة، فرحبت بها وأشارت إلى مقعد لتجلس عليه. شكرتها أحلام، ونظرت حولها قبل جلوسها، فانتبهت للطالبات اللاتي في الفصل، فإذا جميعهن صغيرات، في حدود الثالثة عشرة من العمر، وربما أصغر، وكن يتطلعن نحوها بدهشة وفضول. شعرت أحلام بضيقٍ وارتباك، فلم يكن في حسبانها أن تجلس في مقعد الدراسة مع طالباتٍ صغيرات!

جلست في مقعدها، وكانت المعلمة تشرح درسا عن الفتوحات في الإسلام، فقالت أحلام في نفسها: «درس بسيط». ثم نظرت للحظة نحو السبورة لتقرأ ما كتبته المعلمة، وإذ بها تتفاجأ بالمعلمة تشير إليها وتسألها سؤالاً يختص بالدرس! في اللحظة نفسها التفتت الرؤوس

الصغيرة نحوها، فارتبكت ولم تدرِ كيف تجيب، وهي تشعر بعيون الصغيرات تراقبها في فضول، في انتظار الإجابة. وهنا استدارت المعلمة نحو الطالبات تعيد إليهن السؤال نفسه، فتسارعت الإجابات منهن في الوقت ذاته.

انتهى اليوم الدراسي، واستأذنت أحلام المعلمة في حديث جانبي، واعتذرت لها عن الاستمرار في نفس الفصل، قائلة: «كنت أعرف إجابة السؤال، وكان سبب ارتباكي تحديق الصغيرات نحوي»، وتابعت: «لو في الإمكان فصلُنا في غرفة خاصة لدارسات محو الأمية، توجد دارسات أخريات سيأتين لاحقًا (غدًا)».

قالت المعلمة: «نعم، لو أصبح العدد كبيرا سنجعل لكن فصلًا خاصًّا»، وأضافت أن ذلك سيكون بحسب رأي المديرة.

تواصلت أحلام في نفس اليوم مع زميلاتها، ولكن للأسف أكثرهن اعتذرن عن مواصلة التعليم بحجة أنهن ربات بيوت ولا يمكنهن الذهاب صباحا، ولم تجد غير الثلاث اللاتي يسكن في نفس الحي، فاتفقت معهن أن يذهبن في اليوم التالي. وهكذا، عندما وصلن إلى المدرسة، توجهن مباشرة إلى الإدارة، وأخبرت أحلام المديرة عن اعتذار زميلاتهن، وطلبت منها أن تتعاون معهن بإعطائهن فصلًا خاصًّا بهن، كونهن لا يستطعن الجلوس مع الصغيرات.

اعتذرت المديرة قائلة: «لا يمكن، فهذا نظام، ولا يمكن أن نحضر معلمات لأربع طالبات».

كانت المديرة محقّة في ذلك، فغادرت أحلام المدرسة مع زميلاتها. كانت محبطة، أما زميلاتها فكن غير مهتمات بما حصل. مرت الأيام على أحلام ثقيلة مملة، لم تعد تغادر منزلها، وتتساءل في نفسها: «لماذا أحلامي دائما مصادرة؟»

الفصل الرابع: (أمل وخيبة أمل)

في أحد الأيام، دخل على أحلام أخوها مبتسما وهو يقول: «يمكنني مساعدتك في مواصلة التعليم».

وقبل أن يكمل كلامه، سألته بلهفة: «وكيف ذلك؟ فأنا لا أستطيع الجلوس بين طالبات صغيرات و...»

فأسكتها بإشارة من يده، وتابع قائلًا: «نعم، سأساعدك، ولكن هل في مقدورك أن تدرسي الصف التاسع؟»

لم تستوعب أحلام معنى السؤال، فقالت: «لم أفهم، وكيف ذلك؟»

فقال لها: «لي صديق في وزارة التعليم، شرحت له ظروفك ورغبتك في مواصلة الدراسة، وأخبرته عن سبب توقفك مؤخرا، وسألته لو في الإمكان اختصار ثلاث سنوات دراسية في سنة واحدة، وذلك من خلال اختبار لتحديد المستوى، وبعدها يتم دخولك للصف التاسع، إن شئت الانتساب أو المداومة في المدرسة».

وبالطبع اختارت أحلام الانتساب، وكانت غير مصدقة. هل فعلًا ستتجاوز ثلاث سنوات دراسية في سنة واحدة؟ وهل في مقدورها فعل ذلك؟

«نعم، إن شاء الله»... كانت تحدّث نفسها بكل ثقة.

وفي اليوم التالي، ذهبت إلى الجمعية التي درست فيها مستوى المتابعة، وبعد السلام والترحيب، استأذنت المشرفة أن تتحدث معها على انفراد، وشرحت لها باختصار كل ما حدث لها منذ أن تركت الجمعية وحتى اللحظة، ثم طلبت منها أن تساعدها في استيعاب الدروس المفترض أخذها للعام الدراسي القادم.

استمعت المشرفة لكلامها مبتسمة بإعجاب ودهشة، وقالت لها: «من اليوم –إن أردت– نبدأ في الدروس».

وهكذا، ثلاثة أشهر وأكثر، وأحلام مستمرة ومواظبة على الذهاب إلى الجمعية، وساعدتها المعلمات في الرياضيات والنحو، وكن متعاونات معها، أما بقية المواد فقد كانت سهلة بالنسبة لها.

خلال هذه الفترة كانت أحلام تشعر بالقلق، وتتساءل في نفسها: تُرى هل سيقبلونها؟

فهي تعرف أن هذا النظام في التعليم غير معمول به في بلدها، لكنه بالطبع معمول به في معاهد تعليم اللغة الإنجليزية، حيث يتم فيها تحديد مستوى الطالب المتقدم بحسب فهمه وإجادته للمهارات قراءةً

وكتابةً. ولهذا كانت أحلام تأمل أن يقبلوها في الصف التاسع، خاصة أنها كانت تدرس في جمعية لتعليم الكبار وبشهادة المتابعة.

وأخيرا كانت المفاجأة غير المتوقعة؛ فقد أخبرها أخوها أنه تم قبولها، وأن عليها أن تستعد للاختبار بعد عيد رمضان.

كان على أحلام أن تجتهد في هذا الشهر الكريم، فأعلنت حالة الطوارئ، ولم تترك لحظة بعد أن تنتهي من عملها وعباداتها إلا واستغلتها في المذاكرة.

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فقد مرت بظروف وأسباب قوية منعتها من دخول الاختبار.

هذه إرادة الله سبحانه وتعالى، وهي فوق كل إرادة.

وتذكرت بيتاً من الشعر قرأته يصف حالها:

أو كلما لاحت أمام العين أمنيةٌ عنيدة

ينساب سهم طائشٌ في الليل يسقطها شهيدة

ولكن لا، لم ينطفئ الأمل في قلب أحلام. نعم، استسلمت راضيةً لمشيئة الله، لكنها في الوقت نفسه كانت تشعر بقوة غريبة، وصوت يهتف داخلها: «اطمئني، سوف تصلين لهدفك، وستحققين حلمك. نعم، سيحدث ذلك إن شاء الله».

الفصل الخامس: (وتجدد الأمل)

بدأ العام الدراسي الثالث، ولو قُدّر لأحلام أن تواصل الدراسة لكانت هذا العام في أولى ثانوي، بعدَ أن كادت أن تنتهي من ثلاث سنوات دراسية إلى الصف التاسع، وربما لو واصلت تعليمها للنهاية ما كانت حققت حلمها في أن تصبح معلمة، ولكل شيء سبب في تقدير الله سبحانه وتعالى لمخلوقاته، وفيما يختاره لهم. وهكذا توقفت أحلام عن مجرد التفكير في الدراسة، وقررت أن تعود إلى الجمعية التي حصلت فيها على شهادة المتابعة، عادت لتشارك في الأعمال الخيرية.

هذه الجمعية بدأت أعمالها بمساهمات من رجال الأعمال في بلدها وفي بعض الدول المجاورة، ولأهداف كثيرة، منها فتح فصول لتعليم الكبار، وتعليم الخياطة والأشغال اليدوية، وغيرها من الأعمال لمساعدة المرأة على الاعتماد على نفسها، وخاصة المطلقات والأرامل في العائلات الفقيرة. ومثال ذلك: أرملة بعد وفاة زوجها عادت لتعيش مع عائلتها، ولديها أربعة أطفال، وكانت العائلة عاجزة عن إعالة أطفالها، فتعلمت الأرملة الخياطة في الجمعية هي ومجموعة من زميلاتها، وكانت الجمعية تقيم معرضًا كل فترة لعرض الأعمال التي تصنعها العاملات، وتكسب الكثير، وأيضًا من استمرار الدعم الذي تحصل عليه.

في نهاية دورات الخياطة، أعطت الجمعية للأرملة قرضًا لشراء ماكينة خياطة، على أن تسدد قيمتها متى ما تيسر لها ذلك، هذا غير الكثير من الأعمال الخيرية التي تقوم بها الجمعية.

لذلك قررت أحلام أن تشارك وتساهم قدر ما تستطيع، ولملء وقت فراغها بما يفيد، بدأت تقوم بالأعمال البسيطة كترتيب الملفات، أو تسجيل الأسماء وبيانات المتقدمات للجمعية من الدارسات، أو غير ذلك. خلال هذا العام تعلمت الكثير، وبعد ذلك طلبت من المشرفة أن تمسك إيرادات الجمعية وتهتم باحتياجاتها.

استمرت أحلام في عملها سعيدة وراضية. بعد فترة من الزمن، بدأت تلاحظ ركودًا غريبا في الجمعية، بعد أن كان العمل والحركة فيها لا تتوقف، كذلك لاحظت غياب بعض الموظفات المتكرر، فسألت المشرفة التي أصبحت بعد ذلك من أعز صديقاتها عن سبب غياب الموظفات؟ فقالت: «لأن الدعم والمساهمات التي كانت تحصل عليها الجمعية انخفضت بنسبة كبيرة، ونظرا لتوسعنا بأقسام جديدة كدورات للحاسوب واللغة الإنجليزية، وحاجتنا لشراء الأجهزة والكتب وغيرها، لم نستطع الالتزام برواتب الموظفات».

أحزنها ما حدث، وتمنت لو في مقدورها المساعدة. بعد ذلك، أخبرتها المشرفة أن الجمعية بحاجة إلى معلمات (محو الأمية) وذلك نتيجة

لغياب الدارسات المتكرر لعدم وجود معلمة، وقد حاولت سد الفراغ ولكن لا فائدة. فسألتها أحلام: «وأين معلمات الجمعية؟»

قالت المشرفة: «كما أخبرتك، السبب هو الراتب».

ردت أحلام: «شيء طبيعي غيابهن، ومن المؤكد أن المعلمات في حاجة لبعض المال، وأقل ما يكون أجرة المواصلات». أثناء حديثها مع المشرفة، تحرك الحلم القديم في أعماقها، فعرضت عليها أن تسد هذا النقص وأن تسمح لها بالتدريس. نظرت إليها المشرفة بدهشة واستغراب (ولسان حالها يقول: أنت؟!)

فهمت أحلام ما يدور في رأسها، وألحت عليها أن تسمح لها بالتدريس ولو لفترة قصيرة إلى أن تجد معلمة أخرى تقبل بالتدريس كمتطوعة.

فهل وافقت المشرفة على ما عرضته عليها؟ تمنت أن تقبل، رغم أنها تعرف أنه لا يمكن قبول معلمة في محو الأمية بأقل من شهادة الثانوية.

تفاجأت أحلام بقبول المشرفة لعرضها والترحيب بها معلمةً في الجمعية، فسألتها: «وإن جاءنا موجه لزيارتنا وسأل عن المعلمة الجديدة ومؤهلاتها، فماذا ستقولين له؟»

ردت المشرفة: «لن يأتي أحد لزيارتنا، كما أنه لا توجد شهادات معتمدة للدارسات، لذا بإمكانك أن تبدئي من الغد!»

عرفت أحلام بعد ذلك السبب الرئيسي لغياب أو انسحاب المعلمات وموضوع الشهادات، رغم أن المشرفة لم تكن واضحة معها حينها.

أحلام، رغم شهادتها المتواضعة، إلا أن قراءاتها المتنوعة لكثير من الكتب والمجلات، ومتابعتها الدائمة لما يدور في كواليس الأنظمة في بلدها وفي غيرها، جعلتها تدرك أبعاد الأمر. ورغم أنها لا تحب الخوض في هكذا مواضيع تتعلق بالسياسة والمكايدات بين الأحزاب السياسية في بلدها، إلا أنها مضطرة، بما أن سياق القصة يوجب عليها ذلك، أن توضح أن هناك حزبين حاكمين، و(الوطن) بالنسبة لهما ملعب، والمواطن هو الكرة التي يتقاذفانها.

وإذ بالحزبين يختلفان على تقسيم الكعكة (الوطن)، وكل طرف منهما يريد الحصة الأكبر، وكانت القوة الغالبة في ذلك الوقت للحزب الذي معظم الوزارات والمؤسسات الحكومية بيده تقريبا، ومنها وزارة التعليم.

وللأسف، منع اعتماد أي شهادات أو رواتب لمعلمات الجمعية، وتم إغلاق أو التضييق على مدارسها التي أكثر مناهجها الدراسية تختص بالعلوم الشرعية الخاصة بالحزب المغلوب.

كانت هناك مصالح مشتركة بين الحزبين، وهكذا انتهت المصلحة بينهما، وكانت هذه الحرب الخفية بينهما، والتي استمر فيها الوضع متأزما أكثر من أربعة أعوام.

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

الفصل السادس: (وأخيرًا معلمة)

كانت فرصة لأحلام، وأصبحت معلمة في الجمعية، وتحقق حلمها بمشيئة الله سبحانه وتعالى، ولو لم تحدث هذه المماحكة أو الأزمة بين هذين الحزبين، لاستحال أن توافق الجهة المسؤولة على عملها في التدريس بمؤهلٍ أساسيٍ ومن نفس الجمعية، حتى وإن كان في قدرتها ذلك، وبالذات تعليم الكبار، وإن كانت ثقافتها عالية واستطاعت خلال سنوات طويلة أن تعوض حرمانها من التعليم بالكتابة والقراءة الدائمة لكل أنواع الكتب الأدبية والعلمية والسياسية، وروائع الأدب العالمي المترجمة، وغيرها من كتب الشعر.

وماذا أيضاً؟ كل هذا لا يهم، بل لا بد أن يكون مؤهلها ثانوية على أقل تقدير.

في اليوم التالي، وبعد موافقة المشرفة، قررت أحلام أن تثبت قدرتها على التعليم، وكانت في الماضي، وعلى مدى سنوات طويلة، قد علمت كثيرات من النساء والأطفال في محيط عائلتها، ولأن هذا العمل العظيم بالنسبة لها هواية أحبتها منذ الصغر، وعادةً من يحب أي عمل يتقنه بل ويبدع فيه، وأخيرا بدأت أحلام عمليًّا في التدريس بفضل الله وتوفيقه لها...

لكن هل ستنجح في عملها؟ نعم، هي واثقة بقدرتها على ذلك، ومصممة على النجاح بمشيئة الله.

خلال السنة الدراسية كانت مشرفة الجمعية تمر عليها بين الحين والآخر لتفقد الدارسات ولمتابعة أداء المعلمة، وزاد عدد الدارسات واستمر الإقبال، وانتهى العام الدراسي بنجاح.

وفي العام الدراسي الثاني، كان هناك فصلان: أول أساس، وثاني أساس، فعملت المشرفة إعلاناً عن حاجة الجمعية لمعلمة، وفي الوقت نفسه طلبت من أحلام أن تجمع الدارسات في فصل واحد كإجراء مؤقت لحين حضور المعلمة.

فجمعت أحلام الدارسات في فصل كبير واضطرت لتقسيم الحصص لكل مستوى، وبذلت جهداً مضاعفًا، وعلى الرغم من التعب والإرهاق اللذين كانت تشعر بهما، إلا أنها كانت سعيدة بعملها.

ومضت أيام عديدة في انتظار المعلمة الجديدة، وفي يوم جاءت المشرفة لتخبر أحلام أنها منذ أن نشرت الإعلان لم تتقدم أي واحدة، وأضافت قائلة: «من الصعب أن توفقي بين فصلين دراسيين في أقل من ثلاث ساعات، وكل فصل منهما يختلف منهجه عن الآخر».

ردت أحلام قائلة للمشرفة: «اطمئني، سأبذل قصارى جهدي، وسأحاول اختصار بعض الدروس ودمج المتسلسلة فيها واختصارها

أيضًا بدرس أو درسين، إذا أنت موافقة، وسأعرضه عليك بعد أن أتمه، والأهم من ذلك هو إجادة َالدارسات القراءة والكتابة«َ.

وافقت المشرفة، وفعلًا بدأت أحلام عملها في تلخيص بعض الدروس التي تحتاج لذلك في دفتر خاص، وللأسف حتى أسئلة بعض الدروس كانت متشابهة، ذلك لأن مواضيع الدروس متشابهة أيضًا ومكررة، بحيث يصعب على الدارسات تحديد وفهم المطلوب.

وكتبت بعض تمارين الرياضيات من كل درس للفصلين، وقسمت الدفتر لأول أساس وثاني أساس، واستغرق منها هذا العمل عدة أيام، وبعد الانتهاء عرضته على المشرفة، فوافقت شاكرةً لها جهودها، ثم سألتها قائلة: هل أنتِ فعلًا من قام بهذا العمل؟!

وهكذا مر العام الدراسي الأول والثاني والثالث، حتى العام الدراسي الرابع، وقد حققت في هذه السنوات حلمها، وكان هذا العمل غاية أمنياتها، ونجحت، وازداد عدد الدارسات. والغريب أنه خلال هذه السنوات الدراسية لم تتقدم أي معلمة من ذوات المؤهل العالي، ورغم استغراب أحلام لذلك، إلا أنها شعرت بفضل الله سبحانه وتعالى عليها وتوفيقه لها، بأن أُتيحت لها هذه الفرصة العظيمة لكي تُظهر قدراتها التعليمية وتثبت أنها لا تقل عن غيرها من المعلمات.

وكان حبها لهذا العمل وجهودها وإخلاصها خلال هذه السنوات وخلال الصيفية من أسباب نجاحها واستمرارها.

مرت أكثر من سبعة أعوام منذ دخولها الجمعية، ما بين دراستها في العام الدراسي الأول، ثم أخذت عدة دورات، وقامت ببعض الأعمال البسيطة في العام الثاني، وبعد ذلك عملت في التدريس، وفي الفترة الصيفية الأخيرة تركت الجمعية، فقد كانت عائلتها تستعد للانتقال إلى حي آخر يبعد كثيرا عن الجمعية، واعتذرت للمشرفة وهي في أشد الألم عن المشاركة في الدورة الصيفية، وودعتها.

كانت أحلام تشعر أن هذا آخر عهد لها بالتدريس، فلا يمكن أن يقبلها أي مركز أو جمعية بهذا المؤهل.

وقبل انتقالها وعائلتها ببضعة أيام، اتصلت المشرفة بأحلام تطلب حضورها للجمعية، حاولت الاعتذار، لكن المشرفة أصرت عليها وأخبرتها أن حضورها ضروري للأهمية.

ذهبت أحلام إلى الجمعية مستغربة، تتساءل: تُرى ما هذا الأمر المهم؟ خاصة أنها قد سلمت كل ما لديها من عهدة قبل مغادرتها.

وصلت أحلام إلى الجمعية، وكانت المفاجأة... حفل وداع ضخم على شرفها، وتلقت الهدايا وشهادة تقدير.

كان الموقف مؤثرا جدًّا في نفس أحلام، وخاصة مع مشهد الوداع والمشرفة وزميلاتها وهن يودعنها مع تمنياتهن لها بالتوفيق ودوام النجاح.

الفصل السابع: (بدايةٌ جديدةٌ)

عندما انتقلت أحلام مع عائلتها إلى الحي الجديد، عاد إليها الشعور بالفراغ والملل، وتمر الأيام بطيئة، وكانت تملأ وقت فراغها بالقراءة، والتي لم تتركها قط حتى في وقت عملها بالجمعية.

ولكن ما زال هناك إحساس قوي يراودها، أن هذا ليس نهاية أحلامها، فعملها لم يكتمل بعد. نعم... لم يكن انتقالها للحي الجديد النهاية، بل البداية الحقيقية لفرصة جديدة تثبت فيها قدرتها على التعليم، وأن قدرها بمشيئة الله سبحانه وتعالى وتوفيقه أن تكون معلمة للكبار.

فعلًا، بعد شهر من انتقالها للحي الجديد، وكان ذلك في بداية العام الدراسي، جاءتها الفرصة أخيرا عندما عادت ابنة أخيها من المدرسة، وكانت تمسك بقصاصات ورقية، ناولتها الأوراق وقالت لها: «إن امرأة أحضرتها للمدرسة، ووزعتها للطالبات».

نظرت أحلام في القصاصات، فإذا هي إعلانات من مركز لمحو الأمية تطلب معلمات، ولحسن الحظ كان هذا المركز قريبا جدًّا من منزلها. فذهبت في نفس اليوم بعد العصر، ومراكز تعليم الكبار تبدأ دوامها في هذا الوقت، وصلت أحلام إلى المركز، وكانت مضطربة وقلقة، تسأل نفسها: «ترى هل سيقبلونني بشهادة المتابعة؟»

قابلت مشرفة المركز وقدمت نفسها بعد أن ناولتها الإعلان، وبعد ذلك سألتها المشرفة عن مؤهلها، قالت أحلام: «أساسي».

وقبل أن ترى أو تسمع ردة فعلها، تابعت قائلة لها: «بعد أن حصلت على شهادة المتابعة من الجمعية، عرضت عليهم التدريس و...»

ثم أخذت تشرح باختصار لمشرفة المركز سنوات الخبرة والشهادات التي حصلت عليها، وطلبت منها أن تكون تحت التجربة لفترة من الوقت، وفي الأخير وافقت المشرفة، وقالت: «لكن ليس هناك راتب أو...»

قاطعتها أحلام: «لا أريد راتبا، وسأعمل متطوعة».

وهكذا أخيرا عادت أحلام مرة أخرى للتدريس، وكانت المشرفة تتابع طريقتها وأسلوبها في التدريس، وبمرور الأيام اطمأنت بعد أن تأكدت من أدائها.

واظبت أحلام على عملها، وكان هناك في المركز معلمتان غيرها، وكانتا تكثران من الغياب، مما يضطرها لإعطاء الدارسات بعض الدروس.

لاحظت المشرفة ذلك، كما لاحظت اهتمامها بالمركز وقيامها بتغيير في مسيرته المعتادة، حتى نالت ثقتها بجدارة.

بدأت أزمة أحلام عندما جاء موجه إلى المركز في زيارة، وطلب من المشرفة المرور على الفصول، وعندما دخل فصلها وهي منهمكة في الشرح مع الدارسات، سألها عن موضوع الدرس، فأخبرته، ثم أشار إليها أن تواصل درسها.

بعد مرور الموجه على الفصول عاد إلى الإدارة وطلب من المشرفة أن تستدعي المعلمات لأخذ بياناتهن، دخلت أحلام للإدارة وسمعته هو وزميلاتها، وبعد ذلك سألها الموجه بعض الأسئلة المعتادة، ثم سألها عن مؤهلها فتلعثمت ونظرت إلى المشرفة مستنجدة، فأخبرته المشرفة عن مؤهلها، ثم عن سنوات خبرتها في التدريس والشهادات التي حصلت عليها من الجمعية، وأيضًا شهادة من مشرفة الجمعية تقر فيها أن أحلام مارست مهنة التعليم في الجمعية لمدة خمس سنوات.

مرت الأيام، وكان الموجه عندما يأتي لزيارة المركز يعطي المعلمات دروسا في طرق وأساليب التدريس، اطمأنت أحلام وشعرت بالفرح عندما أخبرتها المشرفة أنه تم قبولها معلمة في جهاز محو الأمية، وانتهى العام الدراسي بنجاح.

ومع بداية العام الدراسي الثاني، بدأت المشكلة، وذلك عندما تفاجأت أحلام بحضور شخص آخر، وقال إنه موجه، وطلب من مشرفة المركز بيانات المعلمات، وتكرر نفس المشهد عندما سألها الموجه عن مؤهلها، ومرة أخرى ردت المشرفة.

اعتقدت أحلام أن الموضوع مر بسلام كالمرة السابقة، ولكن الموجه الجديد استمر في كل زيارة يعيد نفس السؤال، وقبل أن تجيبه يهز رأسه باستخفاف: «نعم.. نعم، مؤهلك أساسي».

حاولت أحلام بكل ما تستطيع أن تثبت للموجه قدرتها على التعليم، وربما أكثر من المعلمات الحاصلات على الثانوية أو حتى الجامعة، فهي أحبت هذا العمل وهذه موهبة يمنحها الله سبحانه لمن يشاء، ومنذ كانت طفلة، إلى أن وصلت لهدفها بتعليم الكبار، وهي تهتم لكل امرأة في محيط عائلتها وتبدأ بتعليمها، ولا تتركها حتى تتأكد من إجادتها للقراءة على أقل تقدير.

كانت تستغرب عندما يأتي الموجه في كل زيارة ويبحث عن الأخطاء وينتقد عملها، وكان المفروض كموجه مساعدتها وزميلاتها وشرح لهن ما يجب عليهن، إذا لاحظ أي أخطاء أو تقصير، فالأخطاء واردة في أي مجال أو عمل، وليس التعليم فقط، ورغم هذه المضايقات من الموجه...

إلا أن ذلك هيهات أن يثني أحلام عن الاستمرار في عملها أو في اهتمامها بتطوير طرق وأساليب التدريس.

وأبدعت في استخدام الوسائل، والتي امتلأت بها جدران الفصل، ولاحظت أحلام أثر جهودها في تقدم مستوى الدارسات، وهذا ما أسعد المشرفة، كما أسعدها، فلم تعد تهتم لأي انتقادات.

الفصل الثامن: (إنما الأمم أخلاق)

انتهى العام الدراسي الثاني بنجاح، وكان ما حدث لأحلام خلال هذا العام سببا جعلها تقضي معظم الإجازة في قراءة كتب، ومن ضمنها كتاب أهدته إياها إحدى قريباتها، وهي مديرة مدرسة، ويتحدث محتوى الكتاب عن المعلم الناجح وكيفية تطوير قدراته في التدريس، وقد استفادت كثيرا من قراءته.

بدأ العام الدراسي الثالث، وامتلأت فصول محو الأمية بالدارسات، وكان الإقبال كبيرا، مما اضطر المشرفة لإنشاء فصلين لدارسات أول أساس.

خلال هذا العام الدراسي، تفاجأت أحلام بما أسعدها، وذلك عندما أخبرتها المشرفة أنه تم ترشيحها لدورة تأهيلية في طرق وأساليب التدريس، مع مجموعة من معلمات محو الأمية.

وعلى الرغم من سعادتها باختيارها دون زميلاتها، إلا أنها شعرت بالقلق، وبإحساس مبهم داخلها، إلا أن تشجيع المشرفة لها ورغبتها في تعلم الجديد كان حافزا لها على القبول.

وهكذا كانت تذهب صباحا لحضور الدورة التأهيلية، وبعد الظهر لمزاولة عملها في المركز.

ولكن... كانت أحلام تحدث نفسها متسائلة وهي تكتب في دفترها: «مذكرتي، هل تعرفين ما حدث لأحلام خلال الدورة؟»

نعم، الذي حدث كان فوق احتمالها، وكان أجمل ما فيها المعلمة رقية، فقد كانت راقية في تصرفاتها وأسلوب تعاملها مع الجميع، ولكن للأسف بعض المعلمات كانت تصرفاتهن صادمة وغير أخلاقية.

فماذا حدث لأحلام خلال الدورة؟

في اليوم الأول للدورة التأهيلية، طلبت الأستاذة رقية من المعلمات أن يتم التعارف بينهن، وعلى كل اثنتين من المعلمات أن تقدما نفسها لزميلتها، وتذكر اسمها، ومؤهلها، وعملها، وما إلى ذلك، وعلى بقية المعلمات متابعة الحوار.

وفعلًا بدأ حوار التعارف، حتى جاء دور أحلام مع إحدى المعلمات، والتي توجهت نحوها، وقدمت نفسها باسم «أروى»، وعندما انتهت، كان على أحلام أن تفعل مثلها.

وقبل أن تبدأ نظرت ناحية زميلاتها، ثم ناحية الأستاذة رقية، والتي أعطتها إشارة بيدها إيعازاً بالبدء.

ورغم أنها كانت الوحيدة في المجموعة مؤهلها أساسي، ورغم شعورها بالرهبة، لكنها أحست أنها ليست أقل منهن، بل ندا لهن، فالتفتت نحو زميلتها بكل ثقة وقدمت نفسها.

انتهى اليوم الأول، وخلال الأيام التالية للدورة، لاحظت أحلام تجاهل زميلاتها لها بشكل ملفت، وذلك عندما قامت الأستاذة رقية بتقسيمهن إلى مجموعات، وطلبت من كل مجموعة أن تعمل في لوحة كبيرة طريقة تحضير درس، بكتابة الأهداف، والوسائل، وغير ذلك.

وعند بدء العمل في مجموعة أحلام، تقدمت لمشاركتهن بإبداء بعض الملاحظات، لكن لم تلفت أي واحدة منهن نحوها، كن يتناقشن بشأن اللوحة وكأنها غير موجودة.

حاولت عدة مرات، وعندما لم تجد أي تجاوب، انسحبت.

في اليوم التالي طلبت الأستاذة رقية من كل مجموعة عمل وسائل متنوعة حسب كل درس، لكن أحلام لم تشارك عندما أحست بإصرار مجموعتها على تجاهلها، وجلست بعيداً تنظر إليهن بشفقة، وتحدثت نفسها: «أيعقل أن هؤلاء النسوة معلمات!!»

كانت تصرفاتهن فيها الكثير من الاستعلاء، رغم خبرتها الطويلة في التدريس، إلا أنها تحب أن تتعلم كل ما هو جديد في هذا المجال.

استمرت تحدث نفسها متسائلة: «هل حقًّا دارسات محو الأمية يحتجن لمعلمات ذات مؤهل عال؟ وهل أي واحدة فيهن أهلا لأن تكون معلمة لمجرد حصولها على الثانوية؟»

لا، بالطبع لا، مع تقديرها واحترامها لكل المعلمات، إلا أنها خلال الأيام التي قضتها في الدورة لاحظت ضعف مستوى بعض المعلمات من الناحية الإملائية، وهذا بحد ذاته كارثة في التعليم، وغير ذلك الكثير مما لاحظته، والذي جعلها تستغرب أكثر أن البعض منهن مرشحات لعمل دورات تأهيلية لمعلمات محو الأمية في المستقبل!!

انتبهت أحلام إلى صوت الأستاذة رقية وهي تسألها: «لماذا أنت هنا ولست ضمن المجموعة؟»

لم تجبها أحلام، وعادت تحدث نفسها: «تُرى، كان سؤالها عفويًّا أم أنها لاحظت ما حدث؟«

قبل انتهاء الدورة بيومين، طلبت الأستاذة رقية من بعض المعلمات تطبيق عملي في أساليب التدريس، طلبت أحلام أن تشارك في هذا

العمل، واختارت أسلوب السرد، وقد اعتادت عليه في التدريس، وكانت ترى أن أسلوب السرد من أفضل الأساليب.

انتهى اليوم وعادت أحلام إلى منزلها متحمسة، واثقة، وتعرف أنها ستكون الأفضل والأكثر كفاءة في هذا المجال.

عند عودتها إلى المنزل، اختارت أحلام درسا من المنهج وكتبت عنوان الدرس وبعض النقاط فقط، وذلك تفاديا للإرباك أو النسيان حين تحدق بها العيون أثناء السرد، رغم أنها تحفظ دروس المنهج كاملًا عن ظهر قلب، ورقم كل درس وعنوانه.

بعدها حاولت أن تنام، ولم تستطع، شيء ما يقلقها، لم تقتنع بموضوع الدرس، فهي تريد قصة من خارج المنهج، ولكن فكرتها تتحدث عن التعليم، تعليم الكبار، وفجأة ومضت في ذهنها فكرة الموضوع.

نعم، فهي كانت دارسة في محو الأمية، ومن ثم معلمة في نفس المجال، لماذا لا تكتب قصتها؟ فهي تستطيع ذلك، وقد كتبت من قبل عدة روايات وصاغتها بشكل لا بأس به، كان هذا من سنوات طويلة.

نهضت أحلام من سريرها، وبدأت تكتب قصة "أحلام طفلة"، كانت تكتب وتكتب، لم تشعر بالوقت حتى انتبهت على صوت أذان الفجر، وقد أوشكت على نهايتها، واختصرتها في بضع صفحات.

ثم قامت لصلاة الفجر، ولم تنم، انتظرت حتى موعد الذهاب للمدرسة، والتي خصصت فيها قاعة كبيرة للدورة.

وعند وصولها، واكتمال حضور بقية المعلمات، بدأت كل منهن في عرض أسلوب من طرق التدريس، وكانت أحلام الأخيرة، فتقدمت وبعد أن أخذت نفسا عميقًا، تركت الأوراق التي كتبتها جانبا وبدأت السرد بضمير الغائب، وكانت لا تسمع غير صوتها، يعلو تارة وينخفض تارة أخرى حتى انتهت.

والتفتت ناحية الأستاذة رقية، وكانت في قمة التأثر، وتصفق بشدة، ودوى التصفيق في القاعة، واختلطت أصوات المعلمات وهن يسألنها: «أحلام، هل هذه قصتك؟ وهل القصة من تأليفك؟»

ابتسمت أحلام وهزت رأسها بالإيجاب، وعادت لمكانها في القاعة، وفي اليوم التالي كان اختبار نهاية الدورة، وبعد الاختبار كان على المعلمات الذهاب لاستلام شهادة المشاركة.

لكن أحلام اعتذرت عن الذهاب وودعت الأستاذة رقية وزميلاتها، ولم يكن هذا آخر عهدها بهن، وقد جمعتهن دورة تأهيلية أخرى.

الفصل التاسع: (أحلام طفلة)

وخلال الفترة بين الدورتين، استمرت أحلام في عملها في المركز، وكان في المركز ثلاثة فصول للمستوى الأول، والثاني أساس والمتابعة، وكل فصل يحتاج إلى معلمة، لكن للأسف لم تستمر أي معلمة في التدريس عندما يعرفن أنه لا يوجد راتب أو حتى نوع من الدعم بين الحين والآخر، وهذا طبيعي وحق من حقوقهن نظرا للأوضاع المتردية التي تمر بها البلاد.

لكن أحلام لم يخطر في بالها هذا الحق، وإن كانت تقدمت للتدريس كمتطوعة، ليس معنى ذلك أن لا حق لها. نعم، استمرت برغم المواقف والأحداث المؤلمة، استمرت من أجل الدارسات، لم تكن مجرد معلمة، بل لمست معاناتهن. للكثيرات منهن قصص تحكى، البعض منهن جئن إلى المركز هروبا من واقع مرير يعشنه.

لم تكتف أحلام بتعليمهن، بل عاشت مشاكلهن، وزرعت الأمل في قلوبهن، قدمت لهن النصائح، وأعطتهن بعض الحلول الممكنة، وأهمها الاستمرار في التعليم الجدي وأن يكون هدفهن الرئيسي مهما حصل، ونجحت بفضل الله وتوفيقه مع الكثيرات.

أما ما حدث لأحلام من مواقف وأحداث كثيرة جدًّا، وبما أن قصتها أوشكت على النهاية، فستذكر حادثتين ما زالت بسببها تعصف الأسئلة داخلها: لماذا حدث ما حدث؟ هل السبب مؤهلها؟

حسنا، وماذا عن المعلمة انتصار التي كانت معها في الحادثة الأولى، والتي تقدمت للتدريس كمتطوعة، وهي من أكفأ المعلمات، كانت الأحداث تعصف، وتتشابك في عقلها، فتناولت القلم قائلة: «مذكرتي، هل أكتب؟» نعم، كان هذا في حفل تكريم المعلمات والمشرفات، وأوائل الدارسات، وذلك في العام الدراسي 2017م، عندما أخبرت المشرفة أحلام عن دعوة لحضور التكريم، ولأنها تمر بظروف تمنعها من الذهاب، كلفت إحدى قريباتها نيابة عنها.

في صباح يوم التكريم اجتمعت أحلام بالدارسات، والنائبة، ومعلمة المتابعة الأستاذة/ انتصار، قبل التاسعة صباحا، ووصلن إلى مكان الحفل التاسعة، وهناك بدأ الحفل بكلمات الترحيب للحضور، وتخللته بعض الفقرات.

وبعدها بدأ تكريم أوائل دارسات محو الأمية لجميع المراكز في المديرية، وبعد ذلك بدأ تكريم معلمات ومشرفات، وكان المركز الذي تدرس فيه أحلام وزميلتها هو الأخير في التكريم. وعندما نودي باسم مشرفة المركز تقدمت نائبتها لاستلام شهادة التكريم، وأعلن نهاية الحفل.

وهنا تطوعت زميلة أحلام، وهي معلمة في أحد المراكز، لسؤال المسؤول عن أسماء المعلمات في التكريم، ظنا منها أن اسميهما سقطا

سهوا! فرد عليها المسؤول قائلًا: «ليس هناك أي أسماء للمعلمات في هذا المركز، لا يوجد غير اسم الأستاذة مشرفة المركز في التكريم».

وهذه ليست المرة الأولى التي يحصل فيها هذا الموقف، فقد حدث للأستاذة/ انتصار في حفل سابق.

كانت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف ظهرا عندما غادرن معلمات ودارسات المركز قاعة الحفل، وهنا تساءلت أحلام: من المسؤول عما حدث؟ ومن الذي رفع اسم المشرفة وأسقط أسماء المعلمات؟

عادت أحلام وهي آسفة ومتألمة من أجل زميلتها الأستاذة انتصار، الذي خسره المركز، أما بالنسبة لها فقد اعتادت على هذه التصرفات غير المسؤولة، وهذا الوصف أقل ما يقال في هذا الموقف.

أما الحادثة الثانية فقد كانت أشد إيلاما على أحلام.

انتهى العام الدراسي بسلام، وانتهت الإجازة وبدأت الدراسة، وامتلأت الفصول بالدارسات، والشيء الوحيد الذي ضايق أحلام خلال هذا العام هو النقص الحاد في المناهج الدراسية، وعملت جاهدة على توفيرها.

بعد اختبارات الفصل الأول وخلال الإجازة، اتصلت المشرفة بأحلام لتخبرها أنها ستمر عليها في اليوم التالي التاسعة صباحا. سألتها أحلام عن السبب؟ وردت قائلة إن هناك عقود عمل لبعض معلمات ومشرفات المراكز، وأنها اختارتها دون معلمات المركز. حاولت أحلام الاعتذار، لكن المشرفة صممت وأقنعتها قائلة: «أنت تستحقين أكثر من ذلك».

وفي اليوم التالي ذهبت مع المشرفة، وعند وصولهما رأت المكان يعج بمعلمات ومشرفات المراكز. وهناك طلبت المشرفة من أحلام أن تنتظرها ودخلت إلى إحدى الغرف، وعندما عادت كان بيدها أوراق، ناولتها ورقة، وطلبت منها كتابة بياناتها.

ألقت أحلام نظرة على الورقة، وأمسكت بالقلم، وعندما وصلت إلى خانة المؤهل توقفت لحظة، ترددت قليلًا، ثم عادت تمسك بالقلم وكتبت «أساسي». بعد أن ملأت الاستمارة ناولتها للمشرفة، ثم غادرا المبنى.

أخبرتها المشرفة بعد ذلك أنهما سيعودان مرة أخرى لتوقيع العقد. هزت أحلام رأسها موافقة، ولكن حدسها يقول غير ذلك، شعور قوي بداخلها يخبرها بالآتي:

وفعلًا، في مساء اليوم التالي اتصل بأحلام الأستاذ أحمد، مدير مكتب محو الأمية، وطلب منها الحضور في اليوم التالي مع المشرفة لتوقيع العقد، قائلًا لها: «أنت ثانوية عامة، أليس كذلك؟!»

كان السؤال غريبا، بل مريبا، هل يعقل أنه لا يعرف؟ وكل عام دراسي يأتي الموجه، ويطلب البيانات نفسها! هكذا كانت تحدث نفسها وانتبهت قائلة: «ولكن يا أستاذ أحمد، أنت تعرف منذ البداية أن مؤهلي أساسي، عن أي ثانوية تتحدث؟»

وعندها رد معتذرا لأنه لا يوجد عقد عمل لغير الحاصلات على الثانوية وما فوق. استمر الأستاذ أحمد يتحدث، ولم تعد أحلام تسمع ما يقوله، وانتبهت عندما قال: «لو الأمر بيدي، أو الأمر ليس بيدي...» لم تعد تذكر. أنهت المكالمة وهي مذهولة، فقد صدق حدسها.

وعادت تحدث نفسها: «إذن لماذا تركوني أستمر في التدريس طيلة هذه الأعوام؟ لماذا لم يخبروني أنني لا أصلح لأن مؤهلي يساوي المتابعة في محو الأمية؟ فكيف يمكن لدارسة حاصلة على شهادتها من مركز محو الأمية أن تكون معلمة في نفس المجال؟»

عصفت كل تلك الأفكار برأسها، وعادت تتساءل: «نعم، لماذا لم يمنعوني من التدريس بما أن كل بياناتي لديهم ومن ضمنها شهادتي؟ لماذا عندما يتعلق الأمر بعقد عمل أو تكريم، يتذكرون مؤهلي؟»

أنهكها التفكير بتصرفاتهم، رغم أنها لا تهتم لموضوع العقد، ولكن التقليل من شأنها، وهذا الجحود والنكران كان أكثر شيء آلمها. وكان المفترض بهم من أول سنة دراسية أن يسألوا عن مستواها العلمي وحدود معرفتها وثقافتها، بغض النظر عن شهادتها. نعم، من المفترض، مثل الدول المتقدمة التي تهتم لذلك.

رغم ما حدث، استمرت أحلام في التدريس، وكلما فكرت في ترك المركز تتراجع لعدة أسباب، وأهم هذه الأسباب أنه يستحيل عليها ترك المركز قبل أن يوصل صوتها للمعنيين، ويعرف الجميع هذه القصة.

وتقول أحلام: «يكفيني برغم كل شيء أني تحديت المستحيل وحققت حلمي، وأنهيت قصتي في كتيب صغير بعنوان: أحلام طفلة (قصة معلمة)».

انضم إلى مجموعة دار بسمة على واتساب، من هنا

اشترك في نشرتنا البريدية لتتوصل بآخر إصدارتنا

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَة والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.َ

المحتويات

الإهداء 6
تقديم 7
تقديم (1) 9
تقديم (2) 10
الفصل الأول: (سرق الحلم) 11
مساء الخير مذكرتي..... 12
الفصل الثاني: (بصيص أمل)..... 17
الفصل الثالث: (فرحة لم تكتمل)..... 22
الفصل الرابع: (أمل وخيبة أمل) 26
الفصل الخامس: (وتجدد الأمل) 31

الفصل السادس: (وأخيرًا معلمة) 38
الفصل السابع: (بداية جديدة)..... 44
الفصل الثامن: (إنما الأمم أخلاق) 50
الفصل التاسع: (أحلام طفلة)..... 57

أحلام طفلة

في حياة كل منا حلم يتمنى
تحقيقه،لكن تختلف طريقة كل
شخص في تحقيق حلمه، وطالما
أن أحلامنا مشروعة ، وأهدافنا
لتحقيقها نبيلة ونافعة لمجتمعنا
فـ يفترض علينا أن نستمر في
المحاولات ،ومهما تعرضنا
لمواقف حبطة،فيجب أن لا يثنينا
ذلك عن المحاولة مجددا،فـ الإرادة
القوية تقهر المستحيل.

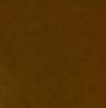

bassmabook
00212771814934
bassmabook@gmail.com